العادات والتقاليد في الدولة العربية الاسلامية من خلال كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين

أ.د. هاشم ناصر حسين الكعبي
كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة كربلاء

المقدمة:

عرف الانسان الرحلة او الترحال والتنقل بفطرته التي جبل عليها منذ بدء الخليقة منذ هبط أدام وحواء الى الارض ليعبدوا الله وليعمروا بأولادها الارض وينتشروا فيها بسعيهم وراء مصادر الماء التي بدورها ستوفر لهم امكانية الزراعة والشرب وتوفير مصادر الرزق لهم ولحيواناتهم .

لقد تضمن عنوان البحث "العادات والتقاليد في الدولة العربية الاسلامية من خلال كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين" وهنا جاب الرحالة كل الارض المعمورة في ازمانهم، ودونوا ملامحها الانسانية والاقتصادية والمعمارية والثقافية والجغرافية وخدموا العلم كما خدموا الفتوحات الاسلامية خدمات جليلة وحفزوا الخيال واعانوا الحكام وفتحوا امام طلاب العلوم والمعرفة افاقا رحبة ونوافذ عديده، فتلاحظ ان كل واحدا منهم قد تحدث عن احوال كل مدينة قد شاهدها بأم عينية واستطاع ان ينقل لنا صورا حيا عن واقع تلك البلاد من خلال العادات والتقاليد التي كانوا يتمسكون بها.

قسمت البحث الى مبحثين، جاء في الاول الرحلة في الدولة العربية الاسلامية وتضمن اعطاء تعريف لمعنى الرحلة لغة واصطلاحا ثم ابراز اهم الآداب التي يجب ان يتأدب بها الرحالة في اثناء رحلتهم كذلك اشتمل هذا الفصل على الدوافع التي جعلتهم يقدمون على الرحلة في بلدان الارض المعمورة وكان نهاية هذا الفصل بإعطاء سيرة ذاتيه لكل واحد من هؤلاء الرحالة الذين اعتمدنا على اخذ النصوص التاريخية من كتبهم، وجاء الثاني بعنوان العادات والتقاليد عند الرحالة والجغرافيون مكملا لما بداته في الفصل الاول من خلال اخذ العادات والتقاليد التي تمسك بها اهالي تلك المناطق التي وصل اليها هؤلاء الرحالة والجغرافيون العرب مما اسهب في اعطاء الكثير من المعلومات عن ما كان يقوم به اهالي تلك البلاد .

اعتمدت في دراستي على مجموعة من المصادر والمراجع في كتابة هذا البحث كان من اهمها المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)وكتابه رحلة ابن جبير، رحلة ابن بطوطه(تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)،وكتاب البلدان لليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) ومن المراجع الزركلي (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)ومؤلفه الاعلام، والصعيدي وكتابه الرحلة في الاسلام أنواعها أذابها، وشوقي ضيف وكتابه الرحلات، وكتاب الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي للكيلاني

المبحث الاول : الرحلة في الدولة العربية الاسلامية

معنى الرحلة:

لغة: الرِّحْلة الارتحال، والرُّحْلة، بالضم، الوجه الذي تأْخذ فيه وتريده ، تقول : أَنتم رُحْلتي أَي الذين أَرتحل إِليهم ،والرَّحِيل : اسمُ ارتحال القوم للمسير(١).

اما اصطلاحا:الرحلة من الارتحال وتعني الانتقال من مكان الى اخر لتحقيق هدف معين ،ماديا كان ذلك ام معنويا .اما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه :اسفار(٢) فالترحال في الارض والسفر من السنن الرانية التي يدعو اليها القرآن الكريم ومنه قوله تعالى:" فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"(٣)، وقوله تعالى :" قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(٤). وقد انطبق السير في الارض والترحال على العديد من الرحالة العرب من ارتحل من نفسه ومنهم من اضطرته الظروف الى تغير المنزل والسفر المستمر(٥) .

أداب الرحلة في الاسلام:

هنالك جملة من الآداب التي ينبغي بها على المرء ان يتقيد بها اذا ازمع السفر أو الرحلة أيا كان نوعها وأيا كان الغرض منها حتى يستطيع ان يجني من ورائها الخير والنفع الدنيوي والاخروي ومن هذه الآداب :

اولا: الآداب العـامة:

أ-ابتغاء مرضاة الله اذا ازمع سفرا استحضار النيه الصالحة ، فأذا كانت الرحلة مشروعة كالحج والجهاد وزيارة الاقارب أما في رحلات الكسب والعمل والسفارة والسياحة فينبغي استحضار النية، وان يقصد العبد ابتغاء مرضاة الله في كل حركاته وسكناته فيما يأتي من الفعل وفيما يذره لان اعمال المكلف شرعا ينبغي ان تعود عليه بالخير والنفع ،فبالنيه تحول العمل العادي الى عمل عبادي.

ب- الاخلاص وهذا مطلبا ضروريا لكل من يريد الرحلة او التشريع في أي عمل

ج- استمداد العون من الله ،ماديا كان ذلك أو معنوبا ،فالعون المعنوي والروحي يتمثل في طلب التوفيق والصبر على تحمل المشاق وسعة الصدر وتشد الحاجة لطلب استمداد العون الروحي من الله اذا كانت رحلة سفارة ،او رحلة تبليغ للدعوة الى الله[٦] .ومن الامثلة الصريحة الواضحة الدالة على ذلك قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام) حينما ارسله الى فرعون قال تعالى:" الَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي *يَفْقَهُوا قَوْلِي *وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي *هَارُونَ أَخِي *اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي *كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا *وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا *إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا *قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى "[٧]، ومن العون المادي فيكون بطلب ألرفقة الصالحة ،وأيضا طلب الدعاء من الصالحين ،فعل ذلك جرى عرف المسلمين الاوائل والاحاديث في هذا الموضوع كثيرة ووفيره نذكر منه: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أريد سفرا فزودني .

د- بيان موقفه المالي فيجب على الانسان ان يترك بيانا تفصيليا بما له او بما عليه من الحقوق (عينية كانت او ماديه) وان يكون هذا البيان مصحوبا بمواعيد حلول تلك الحقوق أو الواجبات وأصحابها حتى يسهل أداؤها او المطالبة بها

هـ- اقامة وصي على اهله ومصالحة من بعده فعلي ان يعين وصيا من اهل الخير والصلاح والامانه لكي يراعي اهله ومصالحه التي يخلفها تبعا لما تقتضيه ظروف الرحلة وأحوال الاهل أو المصالح من بعده[٩].فقد خلف رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بمكة يوم الهجرة لكي يقوم برد الودائع والامانات التي اودعها أهل مكة لدى رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)[١٠].

و- صلاة ركعتين قبل السفر عن مقطم بن المقدام قال : قال رسول الله (ص) : "ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا"[١١]. ويستحب ان يقرا في الركعة الاولى بعد الفاتحة سورة الفلق وفي الثانية بعد الفاتحة سورة الناس[١٢].

ز- التحلي بمكارم الاخلاق فعل المسافر ان يتحلى بالصفات الحميدة التي تجعل أنظار الناس تتجه اليه من حسن افعاله وتعرفه عنوانا للإسلام ورمزا للمسلمين الذين
يصدق عليهم قول الله تعالى:" وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"[١٣].

ح- لا يخالط الرحلة معصية وهذا عنصر مهم من العناصر التي يجب توافرها للمسافر أثناء رحلته بدا وانتهاء لان المعصية تعوق الحركة مهما كان امرها [١٤]

ثانيا: الاداب الخاصة

أ- الاستعدادات المادية والاخذ بالاسباب فعلى المرتحل ان يستعد لرحلته استعدادا خاصا بما يناسبها ،فلكل رحلة متطلبات خاصة كتوفير النفقه اللزمة لها بناءا على المدة التي تستغرقها وعلى مستوى معيشة أهل المنطقة التي يقصدها هذا فضلا عن تكاليف السفر ذهابا وايابا قال تعالى " ... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"[١٥].

ب- الاستعدادات الثقافية ويقتضي ذلك الالمام بدراسة أغراض الرحلة والامور المعاونة التي تسهم بفعالية في تحقيق تلك الاغراض ،مثل معرفة أهم الاماكن التي يقصدها ، والاشخاص الذين يمكن ان يلتقي بهم لتسهيل مهمته وكذلك وسيلة التفاهم اللغوية عند اختلاف اللغة ، وكذلك الالمام بعادات وتقاليد أهل البلدة التي يقصدها وغيرها من الامور.

ج- الاستعدادات الطبية فعل المسافر الذي له ظروف صحية خاصة ان يصطحب معه في رحلته مايراه مناسبا لحالته من نحو الادوية الطبية فقد يحتاج اليها في اثناء سفره لمواجهة المواقف الصحية المفاجئة[١٦].

دوافع الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تحمس الانسان للرحلات وتختلف من شخص الى أخر ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد ، الاانها في الاغلب لاتخرج على ان تكون:

١- **دوافع دينيه** : كأن يرتحل للحج الى الاماكن تلبية لنداء الرحمان وتوبة وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب وعهدا للسير على الصراط المستقيم واملا في المغفرة [١٧].فالحج كان من اهم العوامل التي دفعت بالمسلمين الى الرحلة والانتقال ولايزال رحلة يتشوق الى ادائها كافة الناس وليس علمائهم وليس علمائهم وفقهائهم فقط لهذا اكتسبت الرحلة صفة تراثيه شعبيه[١٨].فنجد في رحلتي ابن جبير وابن بطوطه هو غرض ديني بقصد الحج وزيارة بيت الله الحرام وزيارة مسجد النبي محمد الاكرم[١٩].

٢- **دوافع علمية أو تعليمية:** بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم ،ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها ، وتذكر كتب الحديث والسير ان من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به ، أو لمجدد التحقق من كلمة فيه وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي وابن منده والأحنف العبري ومن ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية[٢٠].وتجدر الاشارة هنا الى ان ابن خلدون قد نوه باهمية الرحلات فاورد ذكرها في مقدمته الشهيرة اذ قال [٢١]:" الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"[٢٢].

٣- **دوافع سياسية:** كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام ،أو تمهيدا لفتح أو غزو.

٤- **دوافع سياحية وثقافية:** تصدر عن رغبة في الطواف نفسه لذاته ، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب[٢٣].

٥- **دوافع اقتصادية:** للتجار وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر ، وقد تكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل.ولعل من اشهر الرحلات التجارية هي

رحلة ياقوت الحموي التي كانت رحلتة للتجارة اساسا ، الاان مؤلفه الجغرافي (معجم البلدان) قد اكسبه شهرة كبيرة[٢٤].ونجد ان لهذه الرحلة جذور قديمة من خلال الرحلة التي كان يقوم بها اهل قريش الا وهي رحلة الشتاء والصيف من اجل المنافع التجارية[٢٥].

٦- **دوافع صحية:** كالسفر للعلاج أو الاستشفاء ،أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها ، وقد يكون هربا من وباء طاعون او تلوث.

٧- **دوافع اخرى:** قد لانعدم ان نجد أسبابا أخرى للارتحال ، كالسخط على الاحوال وضيق العيش ،أو الهروب من عقوبه[٢٦].

ومن اشهر الرحالة العرب والمسلمين.

-رحالوا القرن الثالث الهجري

١- اليعقوبي:(ت بعد٢٩٢ هـ / بعد ٩٠٥ م):أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي : مؤرخ جغرافي كثير الاسفار ، من أهل بغداد . كان جده من موالي المنصور العباسي . رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية ودخل الهند . وزار الأقطار العربية . وصنف كتبا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي ، وكتاب (البلدان) و (أخبار الأمم السالفة) صغير ، و (مشاكلة الناس لزمانهم)) رسالة . واختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة ٢٨٤هـ ورجحت أخيرا رواية ناشر الطبعة الثانية من التاريخ إذ وجد في كتاب البلدان أبياتا لليعقوبي نظمها ليلة عيد الفطر سنة٢٩٢ هـ [٢٧].

أحد أهم الجغرافيين والرحالة والمؤرخين العرب خلال القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي ويحظى بقد كبير من الاحترام لدى الباحثين لامانته العلمية ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب قام برحلات كثيرة امتدت شرقا الى الهند وبلغت اقصاها غربا برحلته الى بلاد المغارب والاندلس ، بدأت رحلته من العراق فزار الشام وفلسطين ومصر والمغرب وارمينيا والهند وشبه الجزيرة العربيه وبعد ان اب من رحلته وضع كتاب البلدان[٢٨] .

٢-ابن الفقيه(ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م):أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمذاني ، أبو بكر ، ابن الفقيه جغرافي أديب . له كتاب (البلدان) نحو ألف ورقة ، و (مختصر كتاب البلدان) صنفه بعد موت المعتضد ، وكتاب(ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين) [٢٩] .ولد وعاش في مدينة همدان بايران وكان خبيرا بالرواية والادب [٣٠].

رحالوا القرن الرابع الهجري:

١- قدامة بن جعفر (ت٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م):قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، أبو الفرج : كاتب ، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة . كان في أيام المكتفي بالله العباسي ، وأسلم على يده ، وتوفي ببغداد .

يضرب به المثل في البلاغة . له كتب ، منها " الخراج" قسم منه ، و " نقد الشعر " و " جواهر الألفاظ " و " السياسة " و " البلدان " و " زهر الربيع " في الاخبار والتاريخ ، و " نزهة القلوب " و " الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام " [٣١] .

ناقد وأديب ورحالة معروف ،عاش في بغداد وتلقى بها العلم ، عرف بالنباهة والذكاء كان نصرانيا واسلم على يد المتكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ)،تولى مجلس الزمام في ديوان الوزير ابي

الحسن بن الفرات وكان يتولى حصر الخراج المجموع من مختلف انحاء المملكة الاسلامية واقتضى عمله هذا ان يطوف بمعظم البلاد التابعة للخلافة ليعطي صورة متعددة المرايا لكل المجتمعات التي عايشها والبلاد التي زارها[٣٢].

٢- المسعودي(ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن

المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود :مؤرخ ، رحالة ، بحاثة ، من أهل بغداد .أقام بمصر وتوفي فيها. من تصانيفه " مروج الذهب " و " أخبار الزمان ومن أباده الحدثان و " التنبيه والاشراف " و " أخبار الخوارج " و " ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور " و " الرسائل " و " الاستذكار بما مر في سالف الاعصار " و " أخبار الأمم من العرب والعجم " و " خزائن الملوك وسر العالمين " و " المقالات في أصول الديانات " و " البيان " في أسماء الأئمة ، و " المسائل والعلل في المذاهب والملل " و " الإبانة عن أصول الديانة " و " سر الحياة " و " الاستبصار " في الإمامة ، و " السياحة المدينة " في السياسة والاجتماع . وهو غير المسعودي الفقيه الشافعي وغير شارح المقامات الحريرية [٣٣] .

مؤرخ وجغرافي فلكي وفقيه وراوية ورحالة عربي شهير سماه بعض المستشرقين "هيرودت العرب" وقد ذاع صيته في الشرق والغرب بفضل كتبه الموسوعة الحفلة بالمعارف والعلوم ، قام منذ بداية القرن بعدة رحلات الى الشرق والغرب شغلت نحو نصف قرن من الزمان ومايزيد عن ثلاثة ارباع عمره طاف خلالها العديد من الاقطار، وركب البر والبحر وجمع ثروة جغرافية وتاريخيه عن شعوب هذه البلاد التي صبها في تصانيفه الكثيرة [٣٤].

-رحالو القرن الخامس الهجري

١- ابن بطلان (ت ٤٥٨ / ١٠٦٦ م)المختار بن الحسن بن عبدون ابن بطلان ، أبو الحسن : طبيب ، باحث ، من أهل بغداد . سافر يريد مصر سنة٤٣٩ هـ ، ومر بحلب فأكرمه معز الدولة ثمال بن صالح . ودخل مصر سنة ٤٤١ فأقام ثلاث سنوات . ورحل إلى القسطنطينية ، ثم إلى أنطاكية فترهب وكان مسيحيا وسمي (يوانيس) ومات فيها . وكان مشوه الخلقة . من كتبه (دعوة الأطباء) و (تقويم الصحة) ترجم إلى اللاتينية والألمانية وطبع بهما ،و (الأمراض العارضة) و (كناش الأديرة والرهبان) و (المدخل إلى الطب) و (عمدة الطبيب في معرفة النبات) و (مقالة إلى علي برضوان) و (مقالة في الاعتراض على من قال إن الفرخ أحر من الفروج) و (شراء الرقيق وتقليب العبيد) رسالة ، و (مقالة في علة نقل الأطباء تدبير أكثر الأمراض) كتبها بأنطاكية سنة ٤٥٥ و (مقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة) [٣٥] .

- رحالوا القرن السادس الهجري

١- ابن جبير الاندلسي(ت ٦١٤ هـ /١٢١٧ م) :أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني المعروف باسم ابن جبير الكناني المعروف باسم ابن جبير الاندلسي ولد في فالنسيا ، وهو جغرافي رحالة كاتب وشاعر اندلسي عربي أتم حفظ القران الكريم ودرس علوم الدين وشغف بها قرر القيام برحلة الحج التي دامت مايقارب السنتين ودون مشاهداته وملاحظاته في يوميات عرفت برحلة ابن جبير ،وسميت باسم"تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار وانطلقت رحلته من غرناطه، سبته، بالرمو، جزيرة كريت، صقليه، الاسكندريه والقاهرة ومكة والمدينه ودمشق وبغداد والموصل وحلب[٣٦]. الف كتابه رحلة ابن جبير اثناء زيارته للمشرق خلال السنوات ٥٧٨-٥٨١ ،ثم يرد الزركلي بانه لم يصنف كتاب " رحلته " وإنما قيد معاني ما تضمنته فتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه ، ومن كتبه " نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان " وهو ديوان شعره ، على قدر ديوان أبي تمام ، و " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح " مجموع ما رثى به زوجته " أم المجد "[٣٧].

رحالوا القرن السابع الهجري

١- البغدادي(ت ٦٢٩ هـ/١٢٣١ م): عبد اللطيف رحاله عالم شملت معرفته الطب اضافة الى النحو واللغة وعلم الكلام واشتهر بصناعة الطب في كل مكان اقام فيه وخاصة في دمشق ، ولد عبد اللطيف في بغداد سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م وانصرف

شأن طلاب العلم في العالم الاسلامي في عصره الى سماع الحديث وحفظ القرأن واجادة الخط وحفظ الشعر والمقامات،واخذ لنفسه اجازه من شيوخ بغداد ثم من شيوخ خراسان فلما اطمئن الى انه اخذ عن شيوخه كل ماعندهم تحول الى الموصل وحدث في مدرسة ابن مهاجر ودار الحديث . ولم يلقي بالموصل سوى الكمال بن يونس وكان جيدا في الرياضيات. كان صلاح الدين سيد سوريه ومصر أنئذ قد أحسن الى عدد كبير من العلماء فأووا الى دمشق . وجاءها عبد اللطيف يطلب علمهم فوقعت بينه وبينهم مناظرات انتصر فيها عليهم ، فتوجه الى القدس وجاء معسكر صلاح الدين بظاهر عكا حيث لقي بهاء الدين شداد قاضي العسكر وعماد الدين الكاتب والقاضي والفاضل ويبدو ان الاخير اعجب بعبد اللطيف لانه زوده برسالة توصيه الى وكيله في مصر ابن سناء الملك الذي احتفل به. ثم رحل الى القدس للقاء صلاح الدين بعد الهدنه ، فرتب له صلاح الدين لعبد اللطيف مائة دينار في الشهر ثم دخل دمشق واكب على الاشتغال بالعلم واقراء الناس بالجامع.لكن عبد اللطيف كان يمل الاستقرار في مكان واحد فرحل الى مصر في ركاب العزيز سلطانها لما جاء الحصار الافضل اخيه في دمشق في حملة فاشله وعاد الى مصر يقرا الناس في الجامع الازهر صباحا ومساء ويقرئ

الطب للكثير في وسط النهار . وفي هذه المدة وقع في مصر الغلاء العظيم والموت وكتب عبد اللطيف كتاب " الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينه بأرض مصر"ثم دعاه حب السفر ثانيه الى القدس ودرس في الجامع الاقصى ونزل دمشق حيث اشتهر بصناعة الطب ودرس في المدرسة العزيزية (٦٠٤هـ) وتنقل بعد ذلك بين حلب واذربيجان في بلاد وارزن الروم وبغداد وتوفي بها [٣٨].

-رحالوا القرن الثامن الهجري

١-ابن بطوطه الطنجي(ت ٧٧٩ هـ /١٣٧٧ م): محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ، أبو عبد الله ،ابن بطوطة : رحالة ، مؤرخ . ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى . وخرج منها سنة ٧٢٥ هـ ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية . واتصل بكثير من الملوك والأمراء ، فمدحهم واستعان بهباتهم على أسفاره . وعاد إلى المغرب الأقصى ، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده . وأملى أخبار رحلته على (محمد ابن جزي) الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦وسماها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار) واستغرقت رحلته ٢٧ سنة(١٣٢٥ - ١٣٥٢) ومات في مراكش[٣٩].بينما يذكر الكيلاني[٤٠] ان رحلته استمرت ثلاثون عام[٤١]. لقد كشفت رحلت ابن بطوطه عن طبيعة الانسان المسلم وعن طبيعة الامه الاسلامية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وابرزت الجانب المشرق من الحضارة الاسلامية من خلال كشف النقاب عن الانسان في فكره وسلوكه وتنظيمه الاجتماعي عبر التاريخ من خلال تقسيم الناس الى ثلاث مراتب واصناف وذلك على النحو الاتي :فأما المراتب هم اصحاب الوظائف الفكريه والدينيه ومن في مستواهم من كبار رجال الدولة والتجار واهل الاموال، وأما الاصناف فهم من أهل الحرف اليدوية على أختلاف أنواعها من بناءين ونجارين وحدادين ونساجين وصغار التجار والنواتي وهم عمال البحر ومن اليهم(٤٢).

المبحث الثاني :العادات والتقاليد من نظر الجغرافيون والرحلة العرب :

تعد اخبار الجغرافيين والرحالة عن البلاد التي زاروها وثيقة مهمة يمكن الاعتماد عليها خصوصا الجغرافيون لانهم لمسوا وشاهدوا المنطقة باعينهم فاعطوا وصفا دقيقا لما شهاهده عن احوال تلك البلاد من جغرافية طبيعية او سياسية او اقتصادية فرسموا الخرائط والمصورات التي شكلت فيما بعد قاعدة للتدريس في كافة المجالات الانسانية والفلكية والجغرافية أي في كافة المجالات .

١-العادات والتقاليد في رحلة اليعقوبي:

فيقول:"وابتدأت بالعراق لانها وسط الدنيا وسرة الارض وذكرت بغداد والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه وصحة، وهواء ...وحسنت اخلاق اهلها ونظرت وجوههم وتفتت اذهانهم ،حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق في كل مناظرة واحكام كل مهنة واتقان كل صناعة فليس علم اعلم من عالمهم ولاأدري من روايتهم ولاأجدل من من متكلمهم ولااعرب من نخوتهم ولاافصح من قارءهم ولاأمهر من متطببهم ولاأكتب من كاتبهم" [٤٣]

ويبدو من النص المتقدم الذي يصف فيه اليعقوبي العراق ماهو الا وجه الحالة الاجتماعية التي كانت سائده في تلك الفترة من حسن الخلق والعلم وما يمتلكه اهل العراق صناعات ساعدتهم على الكسب والمعيشه، وحتى طريقة المناظرة في الكلام تدل على كونهم يتحدثون اللغة العربية الفصحى .

٢- العادات والتقاليد في رحلة ابن الفقيه:

القول في مكة سمّيت بكَّة[٤٤].قال تعالى:" أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ"[٤٥] وأن أهلها كانت لقاحا لم يؤدّوا أتاوة قطّ ، ولا ملكهم ملك ، وكانوا يتزوّجون في أيّ القبائل شاؤا ، ولا يشترط عليهم في ذلك ولا يزوّجون أحدا إلا بعد أن يشترطوا عليهم أن يكونوا حمسا على دينهم ويدان لهم وينتقل إليهم ، فحمّسوا خزاعة ودانت لهم ، وحمّسوا عامر بن صعصعة ودانت لهم ، وحمّسوا ثقيفا ودانت لهم ، سوى من حمّسوا من عدد الرجال ، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحلّ إذا دخلوا الحرم ، وأن يخلعوا ثياب الحلّ ، ويستبدلوا ثياب الحرم إمّا شرى أو عاريّة أو هبة ، فإن أتى بذلك وإلا طاف بالبيت عريانا ، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك ، وكلّفوا العرب أن تفيض من المزدلفة ، وهم بعد أعزّ العرب يتأمّرون على العرب قاطبة ، وهم أصحاب الهريس والحرير والثريد والضيافة والأندية والفالوذج ، وأول من ثرد الثريد منهم عمرو وهو هاشم بن عبد مناف[٤٦].

وفيه يقول الشاعر:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكّة مسنتون عجاف

ويحدثنا عن المدينة المنورة . فيروى عن النبيّ الاكرم أنه قال : للمدينة عشرة أسماء هي : طيبة ، والباقية ، والموفّية ، والمسكينة ، والمباركة ، والمحفوفة ، والمحرّمة ، والعذراء ، والمسلمة ، والمقدّسة ، والشافية ، والمرزوقة . ثم يكمل ابن الفقيه حديثه عنها فيتحدث عن طعامهم فيقول ويكتفي بالمدينة الرجل الأكول بقرصتين ، ولا يكتفي في غيرها بخمسة أرغفة

، وليس ذلك لغلظ فيه أو فساد في حبّه وطحنه ، ولو كان كذلك لظهر في التخم ، ولهم الفقه والصحبة ، ولهم حبّ البان . ومنها يحمل إلى جميع البلدان وهي حشيشة تنبت في باديتها وجبلها أحد[٤٧].

وعند وصفه لمدينة اليمامة فيجعل بها خصال امتازت بها عن بقية المدن فيقول: ليس في الدنيا أحسن ألوانا من نسائهم ، ولا أطيب طعاما من حنطتهم ، ولا أشدّ حلاوة من تمرهم ، ولا أطيب مضغة من لحمهم ، ولا أعذب من مائهم، فأما قولهم في نسائهم فإنهنّ درّيّات الألوان كما قال ذو الرّمّة : كأنّها فضّة قد مسّها ذهب يس في الدنيا أحسن ألوانا من نسائنا ، ولا أطيب طعاما من حنطتنا ، ولا أشدّ حلاوة تمرنا ، ولا أطيب مضغة من لحمنا ، ولا أعذب من مائنا ، فأما قولهم في نسائهم فإنهن درّيّات الألوان كما قال ذو الرّمّة : كأنّها فضّة قد مسّها ذهب وذلك أحسن الألوان ، ويقال لا تبلغ مولّدة مائة ألف درهم إلّا يماميّة ، وأمّا حنطتهم فتسمّى بيضاء اليمامة وهي عذي لا سقي ، يحمل منه إلى الخلفاء ، وأمّا تمره فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين : يماميّ اليمامة ، يماميّ اليمامة ، فيباع كلّ تمر ليس من جنسه بسعر اليماميّ ، وبها أصناف التمور ، وبها نخلة تسمّى العمرة ، ويقال إنها نخلة مريم ، وجمعها العمر ، والحضريّ ، والهجنة ، والبرديّ ،والصفراء ، والقعقاعيّ ، واللّصف ، والصفر ، والصفايا ، والعمانيّ ، والجعاب ، والمريّ ، وخرائف بني مسعود ، والصّرفان ، والزّغريّ ، والصّنغانة ، وصرفان ، جلاجل ، والخيل ، هذه كلّها تمور اليمامة ألوان ملوّنة[٤٨].

وبمصر من العادات ان النساء والصبيان كانوا يربون في بيوتهم الفرس الذي يكون في النيل يأكل التماسيح وغيره من الدوابّ وفيه سنّه شفاء من وجع المعدة [٤٩].ويتبين من الكلام المسد ان اهل مصر كانوا على معرفة بعلاج الامراض ودليل ذلك مايذكره لنا ابن الفقيه فيقول. والنوبة والحبشة تتعالج بفرس النهر لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سنّ هذا ويتعالجون به فيبرؤون وأعفاجه تبرئ من الجنون الذي يأخذ في الأهلّة[٥٠].

وكانوا معتادين على شراب العسل وهو هناك يختار على الخمر البابليّ للذّته وطيبه وشدّة أخذه ، وموضع الأعجوبة فيه أنه يتّخذ في زمان مدود النيل ، ويعمل من ذلك الماء الخاثر الكدر ، ولو عمل من الصافي لم يخرج على صفاء هذا ولا جودته ، ولا تزيده تلك الكدورة إلّا صفاء وحسنا ، ولهم البلسان ، ودهن الفجل ، ودهن الخردل ، ولهم الخيش والريش[٥١].

وفي الحديث عن بلاد المغرب فيشير بقوله: وهم أهل غفلة وقلّة فطنة ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : نساء البربر خير من رجالهم بعث إليهم نبيّ فقتلوه ، فتولّت النساء دفنه ، والحدّة عشرة أجزاء تسعة منها في البربر وجزء في الناس [٥٢].

ومن العادات التي كانت مشهوره عند اهل منبج حمّة ان عليها قبّة تسمّى المدير وعلى شفير الحمّة صورة رجل من حجر أسود ، تزعم النساء أن كلّ من لا تلد تحكّ فرجها بأنف الصورة فيولد لها ، وفيها حمّام يقال له حمّام الصّوابي فيه صورة رجل حجر يخرج ماء الحمّام من إحليله[٥٣] .

٣- العادات والتقاليد في رحلة قدامة بن جعفر:

ان اهل اليمن عندهم العسل الكثير ويفضلون لحم البقر على لحم الضأن السمين يشتري جميع ذلك بسعر واحد ، ومن عنده يجلب الادم والنعام المشعرة والانطاع والبرود المرتفعة والمصمت والاردية يبلغ الثوب عندهم خمس مائة دينار والوان الفصوص والاواني بقرانية وسعوانية والجزع وانواع الخرز ، يبلغ الفص من البقراني مائة دينار واكثر ولهم سوق على حده لايباع فيها الاالمزامير قد شدوها حزاما ونضدوها في حوانيتهم ولهم خانات كثيرة يعملون اواني الجزع وانواع الخرز وليس لشئ من مساجدها رحبة الاالمسجد الجامع ،ووجهم قوم من نسل سيف بن ذي يزن في غاية السراوة والنبل يتقدمون في ذلك وجوه سائر الكور وهم قوم يرجعون الى سخاء وكرم ، وللحوم ضأنهم وبقرهم خاصية وذلك انها لاتنضج الا على الجمر والوقود يسخنها ولاينضجها وضياعهم أجل ضياع واكثرها فاكهة وأحسنها عمارة وهي على ثلاثة اصناف صنف منها غذاء وصنف منها على العيون وصنف على الابار يستقي منه الابل والبقر وصنف على السد[٥٤].

وكانت قراهم عشرية قبل ولاية ابن يعفر فوظف ابن يعفر عليهم مائتي الف دينار ومعاملة أهل البلد بالدنانير المطوقة والدراهم السديسية والفلوس فضرب الدرهم ربما ارتفع من الستين الى المائة بدينار والفلوس اربعة وعشرون بدرهم وزن كل درهم سدس درهم وعنده قرع ،كبار كل قرعة مثل جرة كبيرة يباع بالامنان مقطعا وكل ماكان اكبر كان ارطب ، ونسائهم حرائر والناس ينتشرون في حوائجهم بالنهار ويجتمعون في مجالس الفقهاء وغيرهم بعد العتمة الى وقت يضرب فيه الكوسلم يتعرض له ومن وجد بعد ذلك خارجا حبس وعوقب .والغالب على عامة اهلها وعلى سائر اليمن التشيع واكثر ايمانهم ان يقولوا وحق امير المؤمنين علي[٥٥] .

ومدينة سبأ هي مدينة مدحج وسيدهم ابن الروبة ، وله دار الضيافة من لدن الجاهلية وله بتلك الناحية من معادن الذهب ، لايشركه فيها احد ترتفع لم منها اموال كثيرة وبها كان قصر بلقيس وعرشها واثارها الى مجلس فيه أربعة وعشرون بابا صغار كل باب شبر في شبر معمولة على ساعات الليل والنهار فكلما انقضت ساعة انفتحت منها باب من ذات نفسها واذا انغلقت انغلقت من ذات نفسها وذكروا انه اتخذ ذلك بلونيوس وذكر ان خيلهم معلمة لاتبرح من مكانها ولايحتاج الى من يمسكها اذا نزل عنها القواد ولاتصيح ولاتجلب انما يقال لها شطة فتقف كذلك الى ان يخرج صاحبها من عند الملك . قال فسألت بعض الناس عن امرها فذهبوا بي الى ثلاث تماثيل من صفر على هيئة الفرس منصوبة على باب الملك بلونيوس الحكيم طلسما للدواب الاتصهل ولاتشغب بعضها على بعض ، وعل باب الملك اربع حيات معمولة من صفر أذنابها في افواهها طلسما للحيات ان الاتضر يقصد الصبي الى حية فيأخذها فلا تضره ، ومما يلي باب الذهب من المدينة قبة قنطرة معقوده في وسط سوق المدينة فيها صنمان واحد يشير كأنه يقول بيديه هاته والاخر يشير بيده كأنه يقول اصبر ساعة وهما طلسمان فيؤتي بالسارى فيوقفون بين هذين الصنمين ينتظر بهم الفرج ويذهب رسول يعلم الملك ذلك فأن رجع الرسول وهم وقوف ذهب بعضهم الى الحبس وان وافاهم الرسول وقد جوز بهم الصنمين قتلوا ولم يبق منهم على أحد[٥٦].

٤- العادات والتقاليد في رحلة المسعودي:

وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها ، لا ينام الناس فيها ، وهي ليلة إحدى عشرة تمضي من طوبة وستة من كانون الثاني . ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر ، والإخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها ، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما اسرج أهل مصر من المشاعل والشمع ، وقد حضر النيل في تلك الليلة مئتين آلاف من الناس من المسلمين والنصارى ، منهم في الزوارق ، ومنهم في الدور الدانية من النيل ، ومنهم على الشطوط ، لا يتناكرون الحضور ، ويُحضِرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف ، وهي احسن ليلة تكون بمصر ، وأشملها سروراً ، ولا تغلق فيها الدروب ، ويغطس أكثرهم في النيل ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء[٥٧].

٥-العادات والتقاليد في رحلة ابن بطلان:

وورد في رسالة وجهها ابن بطلان الى صديقه المؤرخ الرئيس هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي[٥٨] متضمنا رحلته التي قام بها في رمضان عام ٤٤٠هـ الى مدينة اللاذقية،ومن عادات هذا البلد ،انه يجمع الزانيات والغرباء المؤثرين للفساد على الروم في حلقه وينادي على كل واحده منهن وتتزايد الفسقة لليلتها ويؤخذون الى الفنادق التي هي الخانات فيسكن الغرباء بعد ان تأخذ كل واحده منهن خاتما هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فأذا متى ماوجد خاطئا مع خاطئة بغير ختم المطران ألزمه جناية ،وفي البلد من الزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم وأذهانهم[٥٩].

٦-العادات والتقاليد في رحلة ابن جبير:

يبدأ ابن جبير حديثه الجانب العمراني لمدينة الإسكندرية وآثارها من حيث اتساع مبانيه حتى إنا ما شاهدنا بلدا أوسع مسالك منه ولا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أحفل منه وأسواقه في نهاية من الاحتفال أيضا وان بناءه تحت الأرض كبنائه فوقها واعتق وامتن لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا وفيها أيضا من سواري الرخام وألواحه كثرة وعلوا واتساعا وحسنا ما لا يتخيل بالوهم حتى إنك تلقى في بعض الممرات بها سواري يغص الجو بها صعودا لا يدري ما معناها ولا لما كان أصل وضعها ويذكر لنا أنه كان عليها في القديم مبان للفلاسفة خاصة ولأهل الرئاسة في ذلك الزمان ويعتقد ان يكون ذلك للرصد[٦٠].

ثم يبدأ بالحديث عن منارة الاسكندرية فيقول:"ومن أعظم ما شاهدناه من عجائبها المنار الذي قد وضعه الله عز وجل على يدي من سخر لذلك آية للمتوسمين وهداية للمسافرين لولاه ما اهتدوا في البحر إلى بر ...ومبناه في غاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا يزاحم الجو سموا وارتفاعا يقصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف الخبر عنه يضيق ... وأما داخله فمرآي هائل اتساع معارج ومداخل وكثرة مساكن حتى أن المتصرف فيها والوالج في مسالكها ربما ضل وبالجملة لا يحصلها القول والله لا يخليه من دعوة الاسلام ويبقيه وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة يتبرك الناس بالصلاة فيه طلعنا اليه يوم الخميس الخامس لذي الحجة المؤرخ وصلينا في المسجد المبارك المذكور وشاهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه وصف واصف "[٦١].

يتبين لنا من كلام الرحالة ابن جبير ان العدد السكاني في مدينة الاسكندرية كان كثير بدليل قوله كثرة المعارج ومداخل المساكن بحيث يصعب على الشخص الدخول او الخروج منها.

ويعرف ان مصر كانت مشهورة بالعبادة الى الله سبحانه وتعالى اضافة الى اهتمامهم بالمدارس أي يمكن القول بانهم كانوا يدركون ان للجانب العلمي دور مهم في تربية ابنائهم فيذكر لنا ابن جبير ذلك:" ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانة المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعليمه واجراء يقوم به في جميع أحواله واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء وقد رتب أيضا فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكلفوا بمعالجتهم ومن أشرف هذه المقاصد أيضا ان السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل انسان في كل يوم بالغا ما بلغوا ونصب لتفريق ذلك كل يوم انسانا أمينا من قبله فقد ينتهى في اليوم إلى ألفي خبزة أو أزيد بحسب القلة والكثرة هكذا دائما ولهذا كله أوقاف من قبله حاشى ما عينه من زكاة العين لذلك وأكد على المتولين لذلك متى نقصهم من الوظائف المرسومة شيء ان يرجعوا إلى صلب ماله وأما أهل بلده ففي نهاية من الترفيه واتساع الأحوال لا يلزمهم وظيف البتة"[٦٢]

ومن خلال قراءة رحلة ابن جبير تبين ان السلطان صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب قد فرض على اليهود والنصارى ضريبة الجزية وليس فيها فائد للسلطان سوى الأوقاف المحبسة المعينة من قبله وما يطرأ من زكاة العين خاصة ليس له منها سوى ثلاثة أثمانها والخمسة الأثمان مضافة للوجوه المذكورة. أي انه كان يصرفها على شعبة وعلى الناس الغرباء وبدليل خروج السلطان في احد الايام للتطلع خارج بلده فتلقى منهم جماعة قد لفظتهم الصحراء المتصلة بطرابلس وهم قد ذهبت رسومهم عطشا وجوعا فسألهم عن وجهتهم واستطلع ما لديهم فاعلموه أنهم قاصدون بيت الله الحرام وأنهم ركبوا البر وكابدوا مشقة صحرائية فقال لو وصل هؤلاء وهم قد اعتسفوا هذه المجاهل التي إعتسفوها وكابدوا

من الشقاء ما كابدوه وبيد كل واحد منهم زنته ذهبا وفضة لوجب ان يشاركوا ولا يقطعوا عن العادة التي أجريناها لهم[٦٣].

يشتهر اهل الاسكندرية بكثرة العباده الى الله سبحانة وتعالى قيذكر لنا ابن جبير مانصه:" ومن الغريب أيضا في أحوال هذا البلد تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم بالنهار في جميع أحوالهم وهو أكثر بلاد الله مساجد حتى أن تقدير الناس لها يطفف فمنهم المكثر والمقلل فالمكثر ينتهى في تقديره إلى اثني عشر الف مسجد والمقلل ما دون ذلك لا ينضبط فمنهم من يقول ثمانية آلاف ومنهم من يقول غير ذلك وبالجملة فهي كثيرة جدا تكون منها الأربعة والخمسة في موضع وربما كانت مركبة وكلها بأئمة مرتبين من قبل السلطان فمنهم من له فوق ذلك ومنهم من له دونه"٢. ثم يحدثنا عن مدينة بطندتة وهي من القرى الفسيحة الأهلة في مصر وكان عندهم عيد النحر ليوم الثلاثاء من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فشاهدنا فيها الصلاة فأبصرنا بها مجمعا حفيلا وخطب الخطيب بخطبة بليغة جامعة، فيتبين انهم كانوا يؤدون شعائر الاسلام لانهم كانوا قد احيوا مراس العيد بذبح الاضاحي كما هو معروف لدينا[٦٤].

ويؤكد لنا ابن جبير ان من العاددات التي كانت معرفه عندهم زياة قبر الامام الحسين (عيه السلام) فيقول:"المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الادراك به مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ومنه ما هو دون ذلك قد وضع أكثرها في أنوار فضة خالصة ومنها مذهبة وعلقت عليه قناديل فضة ...فيه

أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لايتخليله المتخيلون ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون المدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بيتان من كليهما المدخل إليها وهما أيضا على تلك ا لصفة بعينها والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع .ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الاشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصقل وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله

سبحانه ببركة التربة المقدسة ومتضرعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم"[٦٥].

ولم تقتصر زياراتهم الى راس الامام الحسين (عليه السلام) فكان اهل مصر لديهم زيارات اخرى للعديد من الأنبياء صلوات الله عليهم وأهل البيت رضوان الله عليهم والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوى الكرامات الشهيرة والانباء الغريبة فمنها قبر ابن النبي صالح وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين وقبر آسية امرأة فرعون رضي الله عنها ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء وعلى كل واحد منها بناء حفيل فهي بأسرها روضات بديعة الاتقان عجيبة البنيان قد وكل بها قومه يسكنون فيها ويحفظونها ومنظرها منظر عجيب والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر ومشهد علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه ومشهدان لابني جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم ومشهد القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين المذكور رضي الله عنهم ومشهدان لابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ومشهد ابنه عبد الله بن القاسم رضي الله عنه ومشهد ابنه يحيى بن القاسم ومشهد علي ابن عبد الله بن القاسم رضي الله عنهم ومشهد أخيه عيسى بن عبد الله رضي الله عنهما ومشهد يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن رضي الله عنهم ومشهد محمد بن عبد الله بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي رضي الله عنهم ومشهد جعفر بن محمد من ذرية علي بن الحسين رضي الله عنهم وذكر لنا انه كان ربيب مالك رضي الله عنه ومشهد السيدة أم كلثوم ابنة القاسم بن محمد بن جعفر رضي الله عنهم ومشهد السيدة زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ومشهد أم كلثوم ابنة محمد بن جعفر الصادق رضي الله عنهم ومشهد السيدة أم عبد الله بن القاسم بن محمد رضي الله عنهم ومن المشاهد العلوية المكرمة جملتها مشهدا مباركا لمريم ابنة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ومشهد معاذ بن جبل رضي الله عنه مشهد عقبة بن عامر الجهني حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهد صاحب برده صلى الله عليه وسلم مشهد أبي الحسن صائغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهد سارية الجبل رضي الله عنه مشهد محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما مشهد أولاده رضي الله عنهم مشهد احمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مشهد أسماء ابنة أبي بكر الصديق ومشهد عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشهد ابن حليمة رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها من المشاهد[٦٦]

اهتمت مدينة القاهرة بالمرضى المصابين بالجنون فقد هيئت لهم قصرا من القصور الرائقة ووضع فيه خزائن العقاقير على مختلف انواعها ووضعت في مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسي وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكلفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن أيضا من يكلفهن ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس لمجانين ولهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد[٦٧]. وفي بحر عيذاب مغاص على اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها واوان الغوص عليه في هذا التاريخ المقيدة فيه هذه الأحرف وهو شهر يونية العجمي والشهر الذي يتلوه ويستخرج منه جوهر نفيس له قيمة سنية يذهب الغائصون عليه إلى تلك الجزائر في الزواريق ويقيمون فيها الأيام فيعودون بما قسم الله لكل واحد منهم بحسب حظه من الرزق والمغاص منها قريب القعر ليس ببعيد ويستخرجونه في أصداف لها أزواج كأنها نوع من الحيتان أشبه شيء بالسلحفاة فإذا شقت ظهرت الشفتان من داخلها كأنهما محارتا فضة ثم يشقون عليها فيجدون فيها الحبة من الجوهر قد غطى عليها لحم الصدف فيجتمع لهم من ذلك بحسب الحظوظ والأرزاق فسبحان مقدرها لا إله سواه لكنهم ببلدة لا رطب فيها ولا يابس قد ألفوا بها عيش البهائم فسبحان محبب الأوطان إلى أهلها على أنهم أقرب إلى الوحش منهم إلى الإنس[٦٨].

ومن الاحتفالات الدينية التي تقام في مكه العمرة الرجبية والتي يصفها لنا ابن جبير تعد عندهم أخت الوقفة العرفية فيحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم الا الله عز وجل فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى يستهدى ذكره غرابة وعجبا شاهدنا من ذلك أمرا يعجز الوصف عنه والمقصود منه الليلة التي يستهل فيها الهلال مع صبيحتها ويقع الاستعداد لها من قبل ذلك بأيام فأبصرنا من ذلك ما نصف بعضه على جهة الاختصار وذلك لأنا عاينا شوارع مكة وأزقتها من عصر يوم الأربعاء وهي العشية التي ارتقب فيها الهلال قد امتلأت هوادج مشدودة على الإبل مكسوة بأنواع كساء الحرير وغيرها من ثياب الكتان الرفيعة بحسب سعة أحوال أربابها ووفرهم كل يتأنق ويحتفل بقدر استطاعته فأخذوا في الخروج إلى التنعيم ميقات المعتمرين فسالت تلك الهوادج في أباطح مكة وشعابها والإبل قد زينت تحتها بأنواع التزيين وأشعرت بغير هدى بقلائد رائقة المنظر من الحرير وغيره[٦٩].

ويستمر في حديثه عن مناسك العمرة في ليالي رجب فيقول:" عاينا ليلة هي اغرب ليالي الدنيا فمن لم يعاين ذلك لم يعاين عجبا يحدث به ولا عجبا يذكه مرأى الحشر يوم القيامية لكثرة الخلائق فيه محرمين ملبين داعين إلى الله عز وجل ضارعين والجبال المكرمة التي بحافتي الطريق تجيبهم بصداها حتى سكت المسامع وسكبت ن هول تلك المعاينة المدامع وذابت القلوب الخواشع وفي تلك الليلة مليء المسجد الحرام كله سرجا فتلألأ نورا وعند ثبوت رؤية الهلال عندالأمير امر بضرب الطبول والدبادب والبوقات اشعارا بأنها ليلة الموسم...انحشد له أهل مكة عن بكرة أبيهم فخرجوا على مراتبهم قبيلة قبيلة وحارة حارة شاكين في الأسلحة فرسانا ورجاله فاجتمع منهم عدد لا يحصى كثرة يتعجب المعاين لهم لوفور ... فكانوا يخرجون على ترتيب عجيب فالفرسان منهم يخرجون بخيلهم ويلعبون بالأسلحة عليها والرجالة يتواثبون ويتثاقفون بالأسلحة في أيديهم حرابا وسيوفا وحجفا وهم يظهرون التطاعن بعضهم لبعض والتضارب بالسيوف والمدافعة بالجحف التي يستجنون بها وأظهروا من الحذق الثقات كل امر مستغرب وكانوا يرمون بالحراب إلى الهواء ويبادرون إليها لفقا بأيديهم وهي قد تصوبت أسنتها على رؤوسهم وهم في زحام لا يمكن فيه المجال وربما رمى بعضهم بالسيوف في الهواء فيتلقونها قبضا على قوائمها كأنها لم يتفارق أيديهم إلى أن خرج الأمير يزحف بين قواده وأبناؤه أمامه وقد قاربوا سن الشباب والرايات تخفق أمامه والطبول والدبادب بين يديه والسكينة تفيض عليه وقد امتلأت الجبال والطرق والثنيات النظارة من جميع المجاورين فلما انتهى إلى الميقات وقضى غرضه أخذ في الرجوع وقد ترتب العسكران بين يديه على لعبهم ومرحهم والرجالة على الصفة المذكورة من التجاول وقد ركب جملة من اعراب البوادي نجبا صهبا لم ير أجمل منظرا منها وركابها يسابقون الخيل بها بين يدي الأمير رافعين أصواتهم بالدعاء له والثناء عليه إلى أن وصل المسجد الحرام فطاف بالكعبة والقراء أمامه والمؤذن الزمزمي يغرد في سطح قبة زمزم رافعا عقيرته بتهنئته بالموسم والثناء عليه والدعاء له على العادة...فلما كان اليوم الثاني وهو يوم الجمعة كان طريق العمرة في العمارة قريبا من أمسه راكبين وماشين رجالا ونساء والنساء الماشيات المتأجرات كثير يسابقن الرجال في تلك السبيل المباركة تقبل الله من جميعهم بمنه وفي أثناء ذلك يلاقى الرجال بعضهم عضا فيتصافحون ويتهادون الدعاء والتغافر بينهم والنساء كذلك ولكل منهم قد لبس أفخر ثيابه واحتفل احتفال أهل البلاد للأعياد"[٧٠].

ومن المراسيم التي يقومون بها ايضا هي عمرة الأكمة وفي ليلة السابع والعشرين من رجب ظهر لأهل مكة أيضا احتفال عظيم في الخروج إلى العمرة لم يقصر عن الاحتفال الأول

فيخرج رجالا ونساء على الصفات والهيئات تبركا بفضل هذه الليلة لأنها من الليالي الشهيرة الفضل فكانت مع صبيحتها عجبا في الاحتفال وحسن المنظر جعل الله ذلك كله خالصا لوجه الكريم وهذه العمرة يسمونها عمرة الأكمة لأنهم يحرمون فيها من اكمة أمام مسجد عائشة بمقدار غلوة وهي على مقربة من المسجد المنسوب لعلي عليه السلام[٧١].

وكان للنساء حصة من اداء هذه المناسك يوم طواف النساء ففي اليوم التاسع والعشرين منه وهو يوم الخميس أفرد البيت للنساء خاصة فاجتمعن من كل أوب وقد تقدم احتلافهن لذلك بأيام كاحتفالهن للمشاهد الكريمة ولم تبق امرأة بمكة الا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم فلما وصل الشيبيون لفتح البيت الكريم على العادة اسرعوا في الخروج منه وأفرجوا للنساء عنه وافرج الناس لهن عن الطواف وعن الحجر ولم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال وتبادر النساء إلى الصعود حتى كاد الشيبيون لا يخلصون بينهن عند هبوطهم من البيت الكريم وتسلسل النساء بعضهن ببعض وتشابكن حتى تواقعن فمن صائحة ومعولة ومكبرة ومهللة وظهر من تزاحمهن ما ظهر من السرو وانفسحن في الطواف والحجر وتشفين من تقبيل الحجر واستلام الأركان وكان ذلك اليوم عندهن الأكبر ويومهن الأزهر الأشهر[٧٢].

ومما يدل على اهتمامهم بالنظافة قيام اهل مكة في اليوم الثاني من العمرة إلى غسل الحرم المكي بماء زمزم المبارك بسبب ان كثيرا من النساء ادخلن أبناءهن الصغار والرضع معهن فيتحرى غسله تكريما وتنزيها وإزالة لما يحيك في النفوس من هواجس الظنون حادثة نجس في ذلك الموطن الكريم والمحل المخصوص بالتقديس والتعظيم وعند انسياب الماء عنه كان كثير من الرجال والنساء يبادرون اليه تبركا بغسل أوجههم وأيديهم فيه وربما جمعوا منه في أوان قد أعدوها لذلك ولم يراعوا العلة التي غسل لها وكان منهم من توقف عن ذلك وربما لحظ الحال لحظة من لا يستجيزها ولا يصوب[٧٣].

ومن الاحتفالات التي تشهدها مكة ايضا في المسجد الحرام في شهر رمضان المبارك تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعيل وغير ذلك من الآلات حتى تلألأ الحرم نورا وسطع ضياء وتفرقت الأئمة لإقامة التراويح فرقا فالشافعية فوق كل فرقة منها قد نصبت إماما لها في ناحية من نواحي المسجد والحنبلية كذلك والحنفية كذلك الزيدية وأما المالكية فاجتمعت على ثلاثة قراء يتناوبون القراءة وهي في هذا العام أحفل جمعا وأكثر شمعا لان قوما من التجار المالكيين تنافسوا في ذلك فجلبوا لإمام الكعبة شمعا كثيرا من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب فيهما قنطار وقد حفت بهما شمع دونهما صغار وكبار[٧٤].

وعند ذكره لمدينة صور يتحدث عن عرس إفرنجي فيها فيقول:" ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها زفاف عروس شاهدناه بصور في أحد الأيام عند مينائها وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالا ونساء واصطفوا سماطين عند باب العروس المهداة والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال كأنهما من ذوي أرحامها وهي في أبهى زي وأفخر لباس تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا عل الهيئة المعهودة من لباسهم وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة وعلى لبتها مثل ذلك منتظم وهي رافلة في حليها وحللها تمشى فترا في فتر مشى الحمامة أو سير الغمامة نعوذ بالله من فتنة المناظر وأمامها جلة رجالها من النصارى في أفخر ملابسهم البهية تسحب أذيالها خلفهم ووراءها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات يتهادين في أنفس الملابس ويرفلن في أرفل الحلى والآلات اللهوية قد تقدمتهم والمسلمون وسائر النصارى من النظار قد عادوا في طريقهم سماطين يتطلعون فيهم ولا ينكرون عليهم ذلك فساروا بها حتى أدخلوها دار بعلها وأقاموا يومهم ذلك في وليمة فأدانا الاتفاق إلى رؤية هذا المنظر الزخرفي المستعاذ بالله من الفتنة فيه"[٧٥].

٧- العادات والتقاليد في رحلة البغدادي:

اشتهر في مصر ترقيد الفرارايج بالزبل وقاما ترى بصر فراريج عن حضن الدجاجة وربما لم يعرفوه ايضا وانما ذلك عندهم صناعة ومعيشه يتجر فيها ويكتسب منها، ومن اطعمتهم رغيف الصينية ،ووصفته ان يؤخذ من الدقيق الحواري ثلاثون رطلا ويعجن خمسة ارطال ونصف سيرجا عجن خبز الخشكان ثم يقسم بقسمين ويبسط احدهما رغيفا في صينية نحاس قد اتخذت لذلك ،سعة قطرها نحو اربعة اشبار ولها عرى وثيقة ثم يعبى على الرغيف ثلاثة اخرى مشوية محشوة الاجواف بلحم مدقوق ومقلو بالسيرج والفستق المهروس والافاويه العطرة الحارة كالفلفل والزنجبيل والقرفة والمصطكي والكزبرة والكمون والهال والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك ثم يجعل على الخرفان وبين خلالها عشرون دجاجة وعشرون فروجا بعضه مشوي محشو بالبيض وبعضه محشو باللحم وبعضه مطجن بماء الحصرم أو بماء الليمون او بنحو ذلك ثم يشوهر بالسنبوسك والقماقم المحشو باللحم بعضها وبالسكر والحلوى بعضها وان شئت ان تزيده خروفا اخر تتخذه شرائح فلا بئس واذا نضج ذلك وصار كالفته وضع عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك وعود ثم غطى بالقسم الثاني من العجين بعد ان يمد رغيفا ويلحم بين الرغيفين ،كما يلحم الخشكان بحيث لايخرج منه نفس اصلا ثم يقرب الى راس التنور حتى يتماسك عجينة ويبتدئ في

النضج فحينئذ ترسل الصينية في التنور رويدا رويدا ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح باسفنجه فيرش عليه ماء ورد ومسك ويرفع للاكل[٧٦] .

٨- العادات والتقاليد في رحلة ابن بطوطه:

يصور لنا الرحالة الشهير ابن بطوطة الحياة الاجتماعية في مصر من خلال الزوايا التي كانوا يدرسون فيها فيقول :"ومن عوائدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاويا الى الفقراء صباحا، فيعين لكل واحد مايشتهيه من الطعام ، فأذا أجتمعوا للاكل جعلوا لكل انسان خبزة ومرقة في اناء على حدة لايشاركه فيه احد ، وطعامهم مرتان في اليوم وله ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهما للواحد في الشهر الى عشرين ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة ، والصابون لغسل أثوابهم ، والاجرة لدخول الحمام ، والزيت لاستصباح وهم اعزب . وللمتزوجين زوايا على حده ومن المشترط عليهم حضور الصلوات الخمس ، ومن عوائدهم ان يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به واذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الفتح، وسورة الملك، وسورة عم ... ومن عوائدهم مع القادم انه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط ، وعل كاهلة سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الابريق . فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج اليه ، ويسأله من أي البلاد اتى فأذا عرفه ادخله وفرش له سجادته في موضع يليق به "[٧٧].

واعتاد اهل دمشق ان لايفطر أي احد منهم الامجتمعا مع الاخرين ،فكان الامراء والقضاة والتجار يدعون الى مائدة افطارهم الكثير من الناس ومنهم الفقراء ، اما الاخرين من العامة فأنهم يجتمعون في كل ليلة عند أحدهم ويتم افطارهم بهذه الطريقة[٧٨].

واما اهل مكة فأن اكلهم المفضل هو اللحم والسمن والخبز اذا ماكنوا في اوقات الرفاهية، أما اذا كانوا في ايام القحط والجوع فأنهم تعتمدون على على وجبة واحدة في عصر كل يوم ويكفيهم التمر ببقية الوجبات[٧٩]

فمن عادات اهل مكة في الامور الدينيه أن يصلي أول الأئمة إمام الشافعية وهو المقدم من قبل أولي الأمر . وصلاته خلف المقام الكريم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام في خطيم[٨٠] له هنالك بديع . وجمهور الناس بمكة على مذهبه . فإذا صلى الإمام الشافعي صلى بعده إمام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي إمام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلاً ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ثم يصلي إمام الحنفية قبال الميزاب المكرم تحت حطيم له هنالك ويوضع بين يدي الأئمة في محاربهم الشمع . وترتيبهم هكذا في الصلوات الأربع وأما صلاة المغرب فإنهم يصلونها في وقت واحد كل إمام يصلي بطائفته ويدخل على

الناس من ذلك سهو تخليط فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي . وتراهم مصيخين كل واحد إلى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو[٨١].

ومن عادتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك إلى صفح الكعبة الشريفة فيما بين الحجر الأسود والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلاً المقام الكريم . وإذا هل هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعاراً بدخول الشهر ثم يخرج في أول يوم منه راكباً . ومعه أهل مكة فرساناً ورجالاً على ترتيب عجيب وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجرون والرجال يتواثبون ويرمون بحرابهم إلى الهواء[٨٢].

ومن عاداتهم في ليلة النص من شعبان فان اهل مكة يبادرون فيها إلى أعمال البر من الطواف والصلاة جماعات وأفذاذاً والاعتمار . ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل . ويقابل ذلك ضوء القمر يتلألأ الأرض والسماء نوراً ويصلون مائة ركعة يقرأون في كل ركعة بأم القرآن وسورة الإخلاص يكررونها عشراً وبعض الناس يصلون في الحجر منفردين وبعضهم يطوفون بالبيت الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعتمار . ولاهل مكة طقوس خاصة عندما يهل هلال شهر رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة . ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلألأ الحرم نوراً ويسطع بهجة وإشراقاً[٨٣].

ومدينة واسط فيتحدث ابن بطوطه[٨٤]عنها فيقول:"وهي حسنة الأقطار كثيرة البساتين والأشجار بها أعلام يهدى الخير شاهدهم وتهدي الاعتبار مشاهدهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق . أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة وإليهم يأتي أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك . وكان في القافلة التي وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ وبها مدرسة عظيمة حافلة وفيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن . عمرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها . ويعطي لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته كل يوم ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمراً ودراهم . ويستمر في حديثه عن واسط فيقول[٨٥]:" أقامت القافلة ثلاثاً بخارجها للتجارة . فسنح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط . فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصلني إليها . فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة . وأركبني فرساً له وخرجت ظهراً فبت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق وهو

رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء .وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي قصدنا زيارته . وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارته قبر جده وإليه انتهت الشياخة بالرواق . ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الأرز والسمك واللبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أحمالاً من الحطب فأججوها ناراً ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من يأكلها بفمه حتى أطفأها جميعاً وهذا دأبهم".

ومدينة البصرة إحدى أمهات العراق الشهيرة الذكر في الآفاق الفسيحة الأرجاء المونقة الأفناء ذات البساتين الكثيرة والفواكه الأثيرة توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت مجمع البحرين : الأجاج والعذب وليس في الدنيا أكثر نخلاً منها فيباع التمر في سوقها بحساب أربعة عشر رطلاً عراقية بدرهم ودرهمهم ثلث النقرة . ولقد بعث إلى قاضيها حجة الدين بقوصرة تمر يحملها الرجل على تكلف فأردت بيعها فبيعت بتسعة دراهم أخذ الحمال منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل إلى السوق . ويصنع بها من التمر عسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب[٨٦]

والبصرة ثلاثة محلات : إحداها محلة هذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الأثير من الكرماء الفضلاء أضافني وبعث إلي بثياب ودراهم والمحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف مجد الدين موسى الحسنى ذو مكارم وفواضل أضافني وبعث إلي التمر والسيلان والدراهم والمحلة الثالثة محلة العجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكي . وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق وإيناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب . وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي ذكرته ثم يسد فلا يأتونه إلا في الجمعة . وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحنه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغييره الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى : " فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم "(٨٧) .

والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ما هو بوادي سلا من بلاد المغرب وسواه والخليج المالح الخارج من بحر فارس على عشرة أميال منها . فإذا كان المد غلب الماء المالح على العذب وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على الماء المالح فيستسقي أهل البصرة ماءً غير جيد لدورهم . ولذلك يقال : إن ماءهم زعاق . قال ابن جزي وبسبب ذلك كان هواء

البصرة غير جيد وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بهم المثل أهل الهوى وساكني البصرة(٨٨) وهنا يعطينا صورة لطبيعة عيشهم وكيف قد اصفرت وجوههم من شدة شربهم الماء المالح. ثم ركبت من ساحل البصرة في صنبوق وهو القارب الصغير إلى الأبلة . وبينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلة ونخيل مظلة عن اليمين واليسار . والبياعة في ظلال الأشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه . وفيما بين البصرة والأبلة متعبد سهل بن عبد الله التستري . فإذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادي ويدعون عند ذلك تبركاً بهذا الولي رضي الله عنه . والنواتية يحرفون في هذا البلاد وهم قيام . وكانت الأبلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخربت . وهي الآن قرية بها آثار قصور وغيرها دالة على عظمها : ثم ركبنا في الخليج الخارج من بحر فارس في مركب صغير لرجل من أهل الأبلة يسمى بمغامس وذلك فيما بعد المغرب فصبحنا عبادان وهي قرية كبيرة في سبخة لا عمارة بها وفيها مساجد كثيرة ومتعبدات ورباطات للصالحين [٨٩].

ومدينة الكوفة من أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلا أن الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها فإنهم يقطعون طريقها ولا سور عليها وبناؤها بالآجر وأسواقها حسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك وجامعها الأعظم جامع كبير شريف بلاطاته سبع قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوته قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال إن الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهنالك ضربه الشقي ابن ملجم والناس يقصدون الصلاة به وفي الزاوية من هذا البلاط مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج يذكر أنه الموضع الذي فار منه التنور حين طوفان نوح عليه السلام وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح عليه السلام وإزاءه بيت يزعمون أنه متعبد إدريس عليه السلام ويتصل بذلك فضاء ويتصل بالجدار القبلي للمسجد يقال : إنه موضع إنشاء سفينة نوح عليه السلام (٩٠).

ومن عادات اهل الكوفة ذهابهم الى موضع بغربي جبانة الكوفة موضعاً مسوداً شديد السواد في بسيط أبيض فأخبرت أنه قبر الشقي ابن ملجم وأن أهل الكوفة يأتون كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام[٩١].

ثم رحل ابن بطوطه ورحلنا الى مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة بها داخلاً وخارجاً ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل . وأهل هذا المدينة كلها إمامية اثنا عشرية وهم طائفتان : إحداهما تعرف بالأكراد والأخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم بمقربة من السوق الأعظم . بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم أن يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلام وبأيديهم سيوف مشهورة . فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر يأخذون منه فرساً مسرجاً ملجماً أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والأنفار والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون : باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك فيفرق الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار إلى صلاة المغرب وهم يقولون : إن محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وأنه سيخرج وهو الإمام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الأمير محمد بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة وحكمها أعواماً وكان حسن السيرة يحمده أهل العراق إلى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده[٩٢]

ثم توجه بعدها الى كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسيقها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد إلا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد رخيك وأولاد فائز وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أب واحد ولأجل فتنهم تخربت هذه المدينة [٩٣].

ومن العادات التي اشتهر بها اهل بغداد ذهابهم الى حمام خاص في السوق وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل لرائيه أنه رخام أسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبداً به ويصير في جوانبها كالصلصال فيجرف منها ويجلب إلى بغداد . وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار

مطلي نصف حائطها مما يلي الأرض به والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفرداً لا يشاركه أحد إلا إن أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة أيضاً حوض آخر للاغتسال فيه أيضاً أنبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثاً من الفوط إحداهما يتزر بها عند دخوله والأخرى يتزر بها عند خروجه والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الإتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك[٩٤]

الخاتمة

في نهاية كل بحث لابد من وجود امور تعلقت في ذهن الباحث وعلية توصلت الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها:

١- جاب الرحالة كل الارض المعمورة في ازمانهم ، ودونوا ملامحها الانسانية والاقتصادية والمعمارية والثقافية والجغرافيه وخدموا العلم كما خدموا الفتوحات الاسلامية خدمات جليلة وحفزوا الخيال واعانوا الحكام وفتحوا امام طلاب العلوم والمعرفة افاقا رحبة ونوافذ عديدة.

٢- لقد ادى الرحالة مهمة سامية للاجيال القادمة التي اسهمت كتاباتهم لادب الرحالة في نقل كثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لتلك البلاد وطبيعتها الجغرافية وظروفها المعاشية والقوا الضوء على تاريخ هذه البلاد وافكار سكانها وعادات وتقاليد قد تختلف وقد تتفق مع عادات البلاد التي جاء منها هؤلاء الرحالة .

٣- ان تسليط الضوء على عادات وشعوب تلك البلاد يبين لنا مدى القوة والضعف التي كانت تعيشها تلك المناطق فكثير من العادات تتعلق بطبيعة الطعام وكيفية تحضير الوجبات فنجد مثلا في مصر يعطينا بعض الرحالة عن الحالة المترفة التي يعيشها سكان تلك البلاد وبدوره يبين طبيعة الحاكم السياسي من كونه قد انعم على اهل تلك البلاد من خيرات .

٤- الكشف عن مناطق جغرافية داخل البلاد التي وصل اليها الرحالة وهذه المناطق قد تم الاخذ بدراستها فيما بعد على يد المؤلفين والكتاب.

الهامش:

١-ابن منظور: ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧٧١هـ)،لسان العرب، مطبعة ادب الحوزة، قم، ١٤٠٥،ج١١، ص ٢٧٩.

٢- الصعيدي: عبد الحكم عبد اللطيف، الرحلة في الاسلام أنواعها أدابها، ط١،مكتبة الدار العربية،القاهرة،١٩٩٦م، ص.١٥
٣-سورة سبأ،أية.١٩
٤-سورة العنكبوت، اية .٢٠
٥-الكيلاني:جمال الدين فالح،الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي، دار الزنبقه، القاهرة، ٢٠١٤، ص٦٣.
٦- الصعدي،الرحلة في الاسلام أنواعها أدابها، ص ٤٦-٤٧.
٧- سورة طه، ايه ٢٥-٣٦.
٨- النووي: أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي(ت٦٧٦ه)، رياض الصالحين، ط٢، دار الفكر، بيروت،١٩٩١م، ص.٣٥٩
٩- الصعدي،الرحلة في الاسلام أنواعها ادابها، ص ٥٠-٥١.
١٠ - العاملي: جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الاعظم(ص)،ط١، دار الحديث، قم، ج٩، ص .١٦
١١- ابن عابدين: محمد امين (ت١٢٥٢ه)، حاشية رد المختار، تح مكتب البحوث الاسلامية، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م،ج٢، ص.٢٥
١٢- الصعدي، الرحلة في الاسلام أنواعها أدابها، ٥٠-٥١.
١٣- سورة الفرقان، اية .٦٣
١٤- الصعدي، الرحلة في الاسلام أنواعها أدابها،ص ٥٥.
١٥- سورة البقرة، أية .١٩٧
١٦- الصعدي، الرحلة في الاسلام أنواعها أدابها،ص ٥٩-٦٠.
١٧- قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي،ط٢، مطبعة الدار العربية،القاهره،٢٠٠٢م، ص.١٩
١٨-فهيم:حسين محمد، أدب الرحلات، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م، ص.٧٩
١٩-الشقيري: محمد علم الدين، صورة مصر عند رحالة بلاد المغرب والاندلس من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار التيسير ،مصر،٢٠٠٥،ص.١٨
٢٠- قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ، ص.١٩

٢١- ابن خلدون: عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ط٤، دار احياء التراث العربي، بيروت،د.سنة ،ج١، ص.٥٤١
٢٢- قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ،ص.٢٠
٢٣- قنديل، أداب الرحلة في التراث العربي، ص .٢١
٢٤-فهيم،أدب الرحلات، ص٨٠-.٨١
٢٥-الموسوي:محمد بن عبد الله الحسيني(ت١٠٧٠هـ)، رحلة الشتاء والصيف،ط١، تح محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الاسلامي، القاهرة، ١٢٩٣هـ، ص.٢١
٢٦- قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ،ص.٢٠
٢٧- الزركلي: خير الدين(ت١٤١٠هـ)، الاعلام،ط٥، دار العلم للملايين،بيروت،ج١، ص٩٥؛ كحالة: عمر، معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي، بيروت،د.سنة،ج١، ص.١٦١
٢٨ - قنديل،أدب الرحلة في التراث العربي، ص.١١٧
٢٩- ابن النديم :ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق البغدادي(ت ٤٣٨هـ) فهرست ابن النديم، تح رضا تجدد، مطبعة فلوجل ، مصر،د.سنة، ص١٧١؛ البغدادي :اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم الباباني(ت ١٣٣٩هـ)،هدية العارفين واسماء المؤلفين وأثار المصنفين،دار احياء التراث العربي،بيروت،د.سنة،ج١، ص٦٢؛الزركلي، الاعلام، ج١، ص.٢٠٨
٣٠- قنديل،أداب الرحلة في التراث العربي، ص .١٤٠
٣١-الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك(ت٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات ، تح أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢٤،ص١٥٣؛الزركلي، الاعلام،ج٥، ص.١٩١
٣٢- الصعدي،الرحلة في الاسلام أدابها انواعها، ص ١٩٢-.١٩٣
٣٣- الزركلي،الاعلام،ج٤،ص٢٢٧؛ الجلالي:محمد حسين الحسيني،فهرس التراث،تح محمد جواد الحسيني الجلالي،ط١،مطبعة نكارش،١٤٢٢هـ،ج١،ص.٣٨٨
٣٤- الصعدي،الرحلة في الاسلام أدابها انواعها، ص ٢١١- .٢١٢
٣٥- ابن ابي اصيبعة: موفق الدين ابو العباس احمد بن سديد الدين القاسم (ت ٦٦٨هـ) ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تح الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة،بيروت ،د.سنة،ص٣٢٦؛ الزركلي،الاعلام،ج٧، ص.١٩١
٣٦-الكيلاني، الرحلات والرحلة في التاريخ الاسلامي، ص.٦٤

٣٧- الزركلي، الاعلام،ج٥، ص .٣١٩

٣٨- كحاله، معجم المؤلفين،ج٦، ص١٥؛ ضيف: شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٦م،ص٦٠-٦٥؛ الصعدي، اداب الرحلة في التراث العربي الاسلامي، ص .٤١٩

٣٩-الزركلي، الاعلام،ج٦، ص٢٣٥-٢٣٦

٤٠-الرحلات والرحلة في التاريخ الاسلامي، ص٦٣.

٤١- فهيم ،أدب الرحلات ، ص٢٢-٢٣.

٤٢-الزركلي، الاعلام،ج١، ص١٩٥-.١٩٦

٤٣-اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص ١١-.١٢

٤٤-سمّيت بكَّة لأنها كانت تبكّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم وقال إبراهيم بن أبي المهاجر : بكَّة موضع البيت ، ومكَّة موضع القرية . وسمّيت بذلك لاجتذابها الناس من الآفاق . وقالوا : سمّيت بكَّة لأن الأقدام تبكّ بعضها بعضها أي تزدحم وسمّي البيت العتيق لأنه أعتق من الجبابرة . وهي أمّ القرى ، وأمّ الرّحم ، لأن الرّحمة تنزل بها .ومن أسمائها : صلاح ، وناسّة لقلَّة الماء بها ، وبنيّة الأمين .ابن الفقيه الهمداني: احمد بن محمد (ت٣٤٠هـ) ، البلدان،تح يوسف الهادي،ط١، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦،ص٧٤؛الازرقي: محمد بن عبد الله(ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من اثار،تح رشدي الصالح ملحس،ط١، مطبعة أمير،قم، ١٤١١هـ،ج٢،ص .٢٨٢

٤٥- سورة ال عمران،اية .٩٦

٤٦- ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص.٧٥

٤٧-ابن الفقيه، البلدان، ص٨٠-.٨١

٤٨- ابن الفقيه،البلدان،ص٨١.

٤٩- ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص.١٢٠

٥٠- ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص .١٢٠

٥١- ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص.١٢٢

٥٢- ابن الفقيه الهمداني، البلدان،ص.١٣٥

٥٣- ابن الفقيه الهمداني، البلدان،ص١٦٦.

٥٤-الصعدي، ادب الرحلة في التراث العربي، ص .١٩٣

٥٥-الصعدي، ادب الرحلة في التراث العربي،ص١٩٤.

٥٦- الصعدي، ادب الرحلة، ص ١٩٥-١٩٦.

٥٧-المسعودي :أ بي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) ،مروج الذهب ومعادن الجوهر،،ط٢، دار الهجرة ، قم، ١٩٨٤م،ج١،ص،٣٨٠-٣٨١.

٥٨- هلال الصابي (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني ، أبو الحسين ، مؤرخ ، كاتب ، من أهل بغداد . وولي ديوان الانشاء ببغداد زمنا . من كتبه" تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء " و " غرر البلاغة " و " رسوم دار الخلافة " و " أخبار بغداد "ينظر:خليفه: حاجي (ت ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،تح محمد شرف الدين يالتقايا،دار احياء التراث العربي،بيروت، ج٢،ص١٣٩٤؛ القمي: عباس(ت١٣٥٩هـ)، الكنى والالقاب،مكتبة الصدر، طهران، ج٢، ص٤٠٠؛الزركلي، الاعلام،ج٨، ص٩٢.

٥٩- الصعدي،أدب الرحلات ، ص ٣٢٠

٦٠-ابن جبير:ابو الحسن محمد بن احمد(ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير،دار صادر، بيروت،١٩٦٤م،ص١٤.

٦١- ابن جبير،رحلة ابن جبير،ص١٤-١٥.

٦٢- ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص١٥.

٦٣-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٥.

٦٤-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٧.

٦٥- ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠.

٦٦-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٢-٢٢.

٦٧- ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٦.

٦٨- ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٦.

٦٩-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٠.

٧٠-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٥-١٠٦.

٧١-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١١٤.

٧٢- ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص١١٥.

٧٣-ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص١١٦.

٧٤-ابن جبير،رحلة ابن جبير،ص١٢٢.

٧٥- ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص٢٧٨.

٧٦-الصعدي، اداب الرحلة ص ٤٢٨-٤٢٩.

٧٧-ابن بطوطة : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩هـ) ، رحلة ابن بطوطه(تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ،ط٤،دار التراث العربي ،بيروت، ١٩٦٨،ص٣٣-٣٤.

٧٨-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطه، ص٨٩.

٧٩-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطه، ص ١٢٥.

٨٠- الخطيم: . والحطيم خشبتان موصول ما بينها بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على صفتهما وقد عقدت على أرجل مجصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق فيها قناديل زجاج ، ينظر ابن بطوطه،ادب الرحلات، ص١٥٥

٨١- ابن بطوطه،رحلة ابن بطوطه،ص١٥٥

٨٢- ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ص١٥٧-١٥٩.

٨٣- ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص.١٦١

٨٤-ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ص.١٧٩

٨٥- ابن بطوطه،رحلة ابن بطوطه، ص.١٧٩

٨٦-ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص.١٨١

٧٨- ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص.١٨٢

٨٨-ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص.١٨٤

٨٩- ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص.١٨٥

٩٠- ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص٢١٣-٢١٤.

٩١-ابن بطوطه،رحلة ابن بطوطه،ص.٢١٥

٩٢- ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه،ص.٢١٦

٩٣-ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ص .٢١٧

٩٤-ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ص٢١٨.

Summary:

Man knew the journey or wandering and the movement by his nature, which he has mounted since the beginning of creation, since Adam and Eve descended to the earth to worship God and to populate the earth with its children and spread in it by pursuing the sources of water, which in turn will provide them with the possibility of agriculture, drinking, and providing them and their animals with livelihood

The title of the research included "Customs and traditions in the Arab and Islamic country through the books of Arab and Muslim travelers and geographers." Here, the travelers traveled all the globe in their time, and recorded its human, economic, architectural, cultural and geographical features, and served knowledge as they served the Islamic conquests great services, stimulated the imagination, helped the rulers, and opened to students Science and knowledge have broad horizons and many windows, so you notice that each one of them had spoken about the conditions of every city he had seen with his own eyes and was able to convey to us vivid pictures of the reality of those countries through the customs and traditions that they were clinging to.